ما أكثر أعداء القرآن ، ولكن...!!

منذ اللحظات الأولى لتنزل القرآن على قلب الرسول ﷺ ، وحتى يومنا هذا ، والقرآن يتعرض لحملات عنيفة ومتنوعة ، مثال ذلك :

١ـ مقالات المشركين عن القرآن :

ما إن حمل جبريل عليه السلام بواكير الوحي ﴿ اقْرَأْ ﴾ إلى الرسول ﷺ ، حتى بدأ المشركون حملات على القرآن ، وقد أورد البيان الإلٰهي بعض النماذج ؛ منها :

أ ـ قالوا : أساطير الأولين : كما في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان : ٥] .

ب ـ وقالوا : إنه سحر ساحر : كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [الأحقاف : ٧] .

ج ـ وقالوا : إن الرسول ﷺ افتراه : كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ﴾ [سبأ : ٤٣] .

د ـ وقالوا : لو كان القرآن حقّاً لأنزل على محمد بن عبد الله جملةً واحدة : كما في قوله سبحانه : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان : ٣٢] .

هـ ـ وقالوا : لولا نزل على عظيم منهم : كما في قوله سبحانه : ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف : ٣١ـ٣٢] .

و ـ وتنادوا إلى التشويش على القرآن! كما في قوله سبحانه : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [فصلت: ٢٦] .

ز ـ وأثاروا الشبهات حول مصدر القرآن الكريم : حيث قالوا تارةً : إن رجلاً من اليمامة يُقال له: الرحمان ؛ هو الذي

يعلّم الرسول ﷺ! وقالوا تارةً : بل إنه يتعلّم من غلام نصراني يُقال له: جبر ، فأنزل الله تعالى قوله : ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل : ١٠٣] .

ح ـ وكانوا يستهزئون عند سماعهم القرآن ؛ فيقولون مرة: قلوبنا غُلف! ومرةً : في آذاننا وقرٌ لا نسمع ما تقول! ومرة : ومن بيننا وبينك حجاب! وما إلى هنالك .

٢ـ مواقف الملحدين من القرآن الكريم :

لقد تعرض القرآن الكريم لهجومات وتخرصات ، لا من ملاحدة العرب فقط ، بل من مختلف ملاحدة العالم ، وما زال يتعرض في أيامنا هذه ، لكن الشيء الرائع أن البيان الإلٰهي سجل ذلك في ثنايا القرآن ليضيف دليلاً آخر على عظمة صموده لهم ، مع قوة حججه وأدلته ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ۖ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِي

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [العنكبوت : ٥٠ ـ ٥٢] .

ومن جهة أخرى ، فقد سجل القرآن كثيراً من الجولات بين الرسول ﷺ وبين الملاحدة ، فيما يدور حول القرآن ، مثال ذلك قوله سبحانه : ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس : ١٥ ـ ١٦] .

حتى إن القرآن يرسم لنا لوحات من حركات الملاحدة ثم يبين النتيجة الحتمية للصراع مع القرآن ، مثال ذلك قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ۚ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور : ٣٩ ـ ٤٠] .

ثم يعطي القرآن بعض النماذج من أقوال الملاحدة ، مثلاً : إنكارهم وجود الخالق ، وتأتي الحجج والبراهين المنطقية

لتفحمهم تماماً ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾ [الحجر : ١٩ ـ ٢٢] .

وهكذا يتبين للباحث أن الملاحدة يدورون حول بعض المسائل التي لم تستوعبها عقولهم فيشككون بها ، مثل : كثير من مواقف السيرة النبوية ، والقصص القرآنية ، وحكاية خلق آدم عليه السلام ، والجن والملائكة ، وبعض المشاهد الكونية التي ذكرها القرآن ، ونحو ذلك! . .

لكن تبقى المسألة كما قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [الفتح : ٢٨] .

٣ـ المبشرون وموقفهم من القرآن الكريم :

تابع المبشرون ما قام به الملاحدة من صدٍّ عن القرآن ، وتجلى ذلك في عدة نواحٍ ؛ منها على سبيل المثال :

أ ـ القرآن هو نسخة عربية من الإنجيل والتوراة ، سواء في المصادر أو المواضيع أو القصص! . .

وفي الرد القرآني على ذلك الافتراء : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ١] .

ب ـ القرآن من وضع محمد بن عبد الله ، وقد استفاد من السابقين وخاصة الشعراء والكهّان ، وجاء الرد القرآني : ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾ [الحاقة : ٤٠ ـ ٤٧] .

ج ـ وقال المبشرون : كان الرسول يستفيد كثيراً من المعلومات التي بحوزة الحنيفيين ، وخاصة في العهد المكي! مثال ذلك ما ورد في القرآن الكريم : ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦١] .

د ـ وقالوا : إن محمداً وأهل الكتاب كانوا أمة واحدة في مكة ، مستدلين على ذلك بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ

أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ﴾ [الأنبياء : ٩٢ ـ ٩٣] .

هـ ـ وقالوا : لما استقر للرسول الأمر في المدينة حيث أسس لدولة فتية وقوية ، عندئذٍ انقلب على من كان منهم ، وهم اليهود والنصارى! . .

وفي الرد القرآني : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

والواقع أن الحملة على اليهود كانت بسبب غدرهم وخيانتهم ومحاولات اغتيال النبي ﷺ في أكثر من موقع ، ولذلك خاطبهم الباري سبحانه : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة : ٦٨] .

و ـ وقالوا : إن القرآن عربي وليس عالمياً! . .

والردّ القرآني : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء : ١٧٤].

أجل! لقد تعرض القرآن الكريم إلى أعتى حملات تشويه وتشكيك، سواء من الكافرين، أو المشركين، أو الملاحدة، أو المبشرين!..

وما زالت الحملات قائمة حتى اليوم، لكن الذي يبعث في القلوب الطمأنينة هي قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢-٣٣].

* * *